الهوة الاجتماعية في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

على رأس المشاكل الاساسية التي يعاني منها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، مشكلة الهوة الاجتماعية الناجمة عن التناقضات الكامنة في المجتمع الاسرائيلي . وقبل التطرق الى كنه الهوة الاجتماعية وماهيتها وحجمها لا بد لنا من الوقوف قليلا عند توقيت تفجر التناقضات ، والاسباب الكامنة وراءها . ترتبط مسألة توقيت تفجر التناقضات الاجتماعية في اسرائيل ، الى حد بعيد بحالة الاستقرار الامني ، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقناعة الذهنية للجماهير الاسرائيلية باستقرار الاوضاع الامنية وبقوة الجيش الاسرائيلي، بمعنى آخر ان التناقضات الاجتماعية، وهي موجودة منذ قيام الدولة وحتى قبل قيام الدولة في فترة ما يعرف باليشوف ، تبرز على سطح الاحداث في الساحة الاسرائيلية ، تتفجر في حالة الاستقرار الامني، وتطمس او تحبس في حالة التوتر الامني . وعلى سبيل المثال فان التناقضات الاجتماعية لم تصل الى درجة من التفجر ، مع انها كانت قوية خلال الأعوام التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ذلك لان هذه الفترة شهدت توترا امنيا ناجما عن الاصطدامات على امتداد الحدود مع الجبهات العربية وخاصة المصرية ، كما وشهدت موجة من النشاط الفدائي وخاصة من قطاع غزة . الا ان التناقضات الاجتماعية وصلت الى درجة التفجر في فترة الهدوء الامني التي نعمت بها اسرائيل نتيجة توقف الاشتباكات على الحدود ، ووقف النشاط الفدائي ، ووضع قوات طوارىء دولية في قطاع غزة وسيناء ، وخير مثال على ذلك حوادث « وادي الصليب » في حيفا في صيف عام ١٩٥٩ ، حيث قامت الفئات المسحوقة المميزة في تلك الضاحية بانتفاضة اخذت شكل التظاهرات المشفوعة بالعنف ، وامتدت لتشمل معظم المناطق الاسرائيلية التي توجد فيها الفئات المسحوقة من اليهود الشرقيين ، ومع ذلك فان التناقضات اخذت تضبط بشكل او بآخر ، ولم تصل عند مطلع الستينات وحتى ١٩٦٧ الى درجة التفجر بسبب القناعة الذهنية للجمهور الاسرائيلي بأن حالة الأمن ليست على ما يرام ، وبأن « النصر الذي احرزه الجيش الاسرائيلي » قد ساهمت فيه دولتان كبريان . اما بعد حرب حزيران ، وما نجم عن ذلك من قناعة ذهنية في اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بأن الجيش الاسرائيلي يتمتع بقوة كبيرة بامكانها التصدي لأي خطر خارجي ، فقد بدأت التناقضات الداخلية تطغى على السطح وبشكل قوي ، تجعل الكثيرين وخاصة المسؤولين منهم يتخوفون على مصير الدولة ويخشون من اقتراب حرب الهيكل الثالث ! وقد عبرت عن هذه التناقضات وبشكل لم يسبق له مثيل من حيث حدة التفجر حركة الفهود السود عند مطلع عام ١٩٧١ .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان التناقضات الاجتماعية لا تتفجر مباشرة على اثر انتصار عسكري بل العكس هو الصحيح ، فهذه التناقضات تحبس تماما في فترة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا ، كما تحبس تماما في حالة التوتر العسكري ، وتفسير ذلك ان مرحلة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا تكون بمثابة مرحلة « نشوة الانتصار » على عدو